حرب أمريكا ضد 'الإرهاب'، إلى أين؟ (3-1)

23/7/2002

خالد حسن

تخوض الولايات المتحدة من أشهر حربا "شرسة" ضد "الإرهاب"، ونحاول من خلال هذا التقرير الخاص والمطول أن نرصد الوضعية الحقيقية للحرب على القاعدة بعد تسعة أشهر ؟ وكم تبقى منها؟ وهل تمكنت أمريكا من تدمير البنية التحتية لتنظيم القاعدة؟

الحرب أخطأت الوجهة..وفقدت "التركيز"!

حسب تقارير الاستخبارات الأمريكية المتوفرة، فإن الحرب على القاعدة أخطأت وجهتها إلى حد الآن، ولم تحقق مراميها، وغابت عنها الأبعاد، ولحقها اختلال في مقاييس تقويم وضعية المعركة. وتشير التقارير نفسها إلى أن أجهزة الاستخبارات بإمكانها فقط تعداد وإحصاء الوجوه البارزة من عناصر القاعدة الذين تم التعرف عليهم، لكنها تجهل الحجم الحقيقي للتنظيم ولا تعرف شيئا عن الجيل القيادي الوسيط أو لا تكاد. كما أن الحديث عن التوزيع الجغرافي لشبكة القاعدة وخططها وأدوارها الحالية بعيدة عن الكشف والاستهداف، إن لم تكن مستحيلة في الفترة الراهنة. (نعتمد العبارات والإصطلاحات المتضمنة في هذه التقارير)، و"النجاح" الوحيد الذي حققته أجهزة الأمن الداخلي الأمريكي يصب في الخانة القاتمة لتاريخ أمريكا، ويقصد به التعرض للحريات الأساسية بالتضييق والتطويق! . ربما لأنها اعتمدت مبدأ الدفاع لتجنب وقوع هجمات أخرى على أرضها؟!وحسب بعض التحليلات، فإن الإدارة الأمريكية فقدت قدرا من تركيزها وغابت عنها "تقطة الارتكاز" في حربها على القاعدة في الفترة السابقة من خلال "الانغماس" في قضيتي الصراع في فلسطين وملف كشمير، ففي الأولى، أشغلها "العرب" (ونخص بالذكر السعودية) بالمبادرات على حساب مساءلتهم في تورط أبناء شعوبهم في "الإرهاب" وما يقتضيه هذا "التورط" من إعادة النظر في البنية التحتية لهذه المجتمعات، وفي الثانية "حرمت" من السخاء الذي أسداه الجيش الباكستاني إلى أمريكا بالتنسيق في مطاردة أعضاء القاعدة، بعدما سحبت إسلام آباد قواتها من حدود أفغانستان وحولتها إلى خطوط النار على امتداد الحدود مع الهند! وتحاول الآن الولايات المتحدة استرجاع المبادرة في الحرب وتجميع شتاتها – الاستراتيجي- بين كشمير وفلسطين، ولعل الربع الأخير من السنة الأولى للحرب سيكشف مدى قدرة الرياض وإسلام آباد في تحدي الضغوط الداخلية والخارجية التي تعترض استراتيجية التعاون مع واشنطن في حربها ضد "الإرهاب". ومن المتوقع أن تمارس إدارة بوش ضغوطا أكبر على الرياض في الفترة القادمة. خاصة وأن عددا من مستشاري الرئيس بوش يعتقدون أن أهم "إنجاز" يمكن أن تحققه إدارتهم ضد تنظيم القاعدة لن يكون ميدانه إلا في باكستان والسعودية!.

غرب باكستان ..وليس غرب السعودية!

ولعل الدافع الذي جعل أمريكا تطارد أعضاء القاعدة في غرب باكستان وليس في غرب السعودية حسب تحليلات أمريكية، هو النفط، ولهذا تتلهف إدارة بوش للإستيلاء على مخزون النفط العراقي الهائل ومصادر الطاقة فيها، وهو ما يتيح لواشنطن فرصة التنويع في نهب مصادر الطاقة وتأمين ضخها، وتعطي انطباعا بأن أمريكا تحولت إلى أحد منتجي البترول كباقي المنتجين الكبار مثل السعودية!، التي تعتمد على مخزونها من النفط في تحقيق قدر من الاستقرار الداخلي، وتوظف ورقة المخزون أيضا في تعاملها مع أمريكا، وبهذا "الاستيلاء" تضعف الولايات المتحدة موقع الرياض أكثر على الصعيد التعاطي مع المطالب الأمريكية "المحرجة". ومع التحول الذي فرضته الإدارة على سياستها في ظل حالة الحرب والطوارئ التي أقرتها، فإنها لم تحقق عمليا أي مكسب

على المستوى "التكتيكي" فضلا عن "الاستراتيجي" في مهمتها "الاستعجالية القذرة".
ولا تزال واشنطن – وفقا لهذه التحليلات- تصارع للظفر بنوع من "التركيز" وحصار "الخطر" الداهم! ووجدت مؤسساتها عاجزة على تقدير حجم الحرب وتبعاتها، وليس هذا فحسب، بل ضيعت فرصة "الإجماع الداخلي" الذي تحقق في الأشهر الأولى عقب الهجمات واصطف وراء قرار بوش بالحرب!. وتبدو الإدارة الأمريكية قي حالة من التخبط الواضح، وتسلك وجهة غير محدودة، أوصلتها إلى حد التورط في الشؤون السياسية والاجتماعية للدول التي أرغمتها بقبول فرضية أن أراضيها "تستضيف" جيوبا للقاعدة (ومنها : قيرخستان، جورجيا، فلبين، كينيا واليمن)، وهذا فقط دفاعا عن مصالحها، وليس كما أوهمت به الحكومات الحليفة لـ "تطهيرها" من "خطر القاعدة"، وبهذا تكون الولايات المتحدة قد اخترقت سيادة دول بأكملها في أوراسيا وإفريقيا!

ويفسر بعض المراقبين هذا السلوك العدواني بأنه توجه صريح لتقمص صفة "الإمبراطورية"، حتى إن "قوى إقليمية" كروسيا والصين والهند تنبهت لهذا التضخم وبدأت في تبني استراتيجية للتكيف مع تداعيات هذا "التقمص"!. و في ظل فشل واشنطن في حربها على القاعدة، فإن إعادة بناء " تجمعات الاستخبارات" والتوسع في مفهوم وصلاحيات وزارة الأمن الداخلي، من شأن هذا وذاك أن يستنزف طاقة كبيرة وجهدا معتبرا من "مقدرات" الحرب على القاعدة وليس لصالحها كما يوهم بذلك مسؤولي إدارة البيت الأبيض.

وتواجه "بيروقراطية" واشنطن معركة "حياة أو موت" لصالح السياسة التنفيذية والمالية الداخلية التي اضطربت عشية هجمات 11 سبتمبر. وستتصدر هذه التحديات والصراعات قائمة المحاور والموضوعات في انتخابات نوفمبر القادم. كما أن الأمريكان مجتمع قلق ويستولي عليه الخوف والرعب، لذا فهو يتطلع إلى وعد إدارة بوش انتظارا لساعة الوفاء به، والمتمثل في رأس أسامة بن لادن قبل حلول الذكرى الأولى للهجمات، وسيكون 11 سبتمبر 2002 موعدا للإحباط وفقدان الأمل في حال تحقيق "حرية كاملة غير منقوصة" أو منعطفا تاريخيا حاسما لإبراز قيادة وحركة وتماسك. وتجد الإدارة الأمريكية نفسها حاليا بحاجة إلى تقدير حجم القرارات، فالوضعية السياسية والحربية ليس على ما يرام لشن حرب على العراق، و"النموذج الأفغاني" غير قابل للتطبيق في حالة الحرب على العراق (انظر مقال. **مخزون النفط العراقي يسيل لعاب إدارة بوش : معوقات على طريق الحملة ضد نظام بغداد! في محور تقارير إخبارية في مجلة العصر)**

ومع "انشغالها" عن "مهمتها الأولى" من خلال التورط في الصراع الفلسطيني وملف كشمير العالق في الربع الثالث من حربها ضد "الإرهاب"، لم تتمكن واشنطن من تحديد "الهدف"، ولا زالت التساؤلات حول المستهدف القادم والاستراتيجية القادمة بدون إجابات واضحة وصريحة؟، ولا زالت الإشكالات العالقة بدون حلول؟، فهل ستتغلب أمريكا على تخطي معوقات ضرب العراق؟ وهل سترسل قوات إضافية إلى باكستان؟ وهل ستجمد أرصدة السعوديين البنكية؟ وهل...